مجلة اللغة العربية وآدابها علمية محكمة
السنة ١٤، العدد ٢، صيف ١٤٣٩هـ
صفحة ١٨٥ – ٢٠٧

Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
https://jal-lq.ut.ac.ir/

أثر ظاهرة الحذف البلاغي في اختلاف الترجمات القرآنية

أحمد اميدعلي[1*]، أصغر شهبازي[2]

١. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أراك

٢. دكتوراه في اللغة العربية وآدابها من جامعة أصفهان

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٧/٩/٢٧ ؛ تاريخ القبول: ٢٠١٨/٨/٥)

الملخّص

إنّ المتأمّل في الترجمات القرآنية قد يلاحظ فروقاً عديدة واختلافات شتّى بين أصحاب الترجمة وتظهر أمامه بعض المعاني مبتعدة عن بعضها تمام البعد حتى يثير ارتباكه ودهشته. تعتبر ظاهرة «الحذف» إلى جانب بعض الظواهر القرآنية كالتعابير الأدبية المجازية، وتعددية القراءات، والوجوه الإعرابية المتعددة، من الأسباب الرئيسية التي تتمخّض عنها اختلافات في النقل والتباين في الفحوى. فهناك آيات كثيرة كان الاختلاف فيها يرجع إلى التقديرات المتعددة بينما لا يتوافر هذا التباين للآيات ذات التراكيب اللغوية التامة؛ لأنّ حدود المعنى فيها محدودة وذلك لتقيّدها بالألفاظ الدالة عليها. إن الحذف البلاغي بأنماطه المختلفة يفتح الباب واسعاً أمام قراءات متعددة ويؤدّي إلى اتساع مجالات المعنى القرآني. من هذا المنطلق تحاول هذه الدراسة المتواضعة أن تلقي الضوء على الفجوات الناتجة عن «الحذف» وكيفية تعامل المترجمين معها لنقل المقاصد القرآنية. ومما توصّلت إليه دراستنا المتواضعة التي انتهجت المنهج الوصفي التحليلي أن اختلاف المترجمين في نقل العناصر المغيبة في الآيات تتجذّر في مواطن المحذوف ودقائقه الدلالية، وكيفية ذكر المقدّر والرؤى التفسيرية المختلفة والوجوه الإعرابية المتعددة.

الكلمات الرئيسة

اختلاف الترجمة، بلاغة الحذف، تعددية المعنى، القرآن الكريم.

* الكاتب المسؤول
Email: a-omidali@araku.ac.ir

Archive of SID
www.SID.ir

مقدمة

تعدّ حركة نقل معاني القرآن الكريم بالفارسية خطوة عظيمة ومباركة في اللغة الفارسية. فإنّها إضافة إلى قيمتها التاريخية، لها أهمية فائقة من الجهة اللغوية والأدبية. ولعلّ اللغة الفارسية أولى لغة في العالم ترجم إليها الوحي السماوي (خرمشاهي، ١٤١٣: ٣؛ رضايي إصفهاني، ١٣٨٦: ٣٦)، وذلك لأسباب متعددة. استمرّ هذا العمل الجليل الذي تعود بدايته إلى القرن الرابع الهجري طيلة القرون وتحوّل إلى نهضة أدبية قيمة بلغت ذروتها في عصرنا الحاضر، فنلاحظ ظهور ما يناهز ألف ترجمة قرآنية على مدى ألف عام (خرمشاهي ١٣٨٧: ١٠٢)، ولكن رغم هذه العناية الكبيرة لم يبلغ الأمر غايته ومنتهاه بعدُ؛

گمان مَبَر كه بِه پايان رِسيد كار مُغان　　هِزار بادِه ناخُورده دَر رَگِ تاك اَست

(لاهوري، ١٣٦٦: ٢٧١)

والمعنى: «لا تظننَّ أنّ أمر الموابذة انتهى، فهناك ألف خمر غير مشروب في عروق الكروم».

وأما رغم تعدّد الترجمات وتنوّعها، فدراسة ترجمة الآيات ونقدها لا تزال في خطواتها الأولى. يرى بعض الباحثين أن مردّ ذلك يعود إلى هذه الأسباب: أ) الافتقار إلى الموقع الخاص في المحافل العلمية في باب نقد الترجمات القرآنية؛ ب) كون الترجمات القديمة حرفية، قلّما روعيت فيها الصياغات النحوية الفارسية؛ ج) حاكمية مبدأ قداسة القرآن ورفض نقد عبارات ومعاني القرآن المترجمة (حجت، ١٣٧٨: ٤٩-٥٠). أما هذه المسألة فبدأت تتغيّر في عصرنا الحاضر بسبب اهتمام بعض مؤسسات علمية خاصة بنقل الكلام الإلهي كـ «ترجمان الوحي» أو إنشاء مجلّات علمية كـ «البيّنات»، و«المشكاة»، و«آموزهاي قرآني» (التعاليم القرآنية) و«دراسات في ترجمة القرآن والحديث».

انطلاقاً من هذا المهم نتناول في دراستنا المتواضعة إحدى الإشكاليات اللغوية الهامة التي تسود ترجمة القرآن الكريم فهي موضوع «الحذف»، إذ إن النص القرآني حافل بأقسام الحذف حتى تكاد لا تخلو منها آية من آي القرآن الكريم. وهذا ما جعل صاحب الكشّاف أن يقول: «الحذف والاختصار هما نهج التنزيل» (الزمخشري، ١٩٨٦، ج٤: ٦٥٥)، فهذا يدلّ على أنه باب واسع في الذكر الحكيم ويستدعي الالتفات إليه. ولا يخفى أن قسماً من أسباب الاختلاف بين الترجمات القرآنية يعود إلى هذه المسألة. فدواعي الحذف ومقاصده البلاغية من جهة واختلاف

Archive of SID

www.SID.ir

اللغتين العربية والفارسية من حيث خصائصهما اللغوية والتركيبية من جهة أخرى، تفصح عن مدى أهمية هذه المسألة. فلا بد للمترجم أن ينتبه للعلاقات النصية و«أن يقوم بالتحليل القواعدي والفني ليدرك مكانة الألفاظ والجمل ليدرك معانيها» (محمدرضايي، ١٤٣١: ١٤٠). فبناءً على ذلك، ركزنا في بحثنا المتواضع على مواقف الحذوف في الآيات القرآنية للكشف عن أسباب التباين لدى المترجمين ونحاول الوصول إلى إجابات مناسبة عن السؤالين التاليين:

- ما هو أهم الإشكالات الترجمية في نقل العناصر المحذوفة لدى المترجمين؟
- ما هو أثر الحذف القرآني في النقل؟

نظراً إلى الأسئلة المطروحة، يرتكز البحث على المفروضات التالية:

- إن اختلاف المترجمين في نقل العناصر المغيبة في الآيات يتجذّر في الرؤى التفسيرية المختلفة والوجوه الإعرابية المتعددة.
- تعتبر تعددية الإعراب واللطائف الدلالية من أهم آثار الحذف القرآني وبالتالي عدم اهتمام المترجمين بهما من أبرز مواطن الضعف في النقل.

والجدير بالقول أننا لم نرد في المقال التركيز على اختيار ترجمة خاصة لتحديد البحث، بل حاولنا الوصول إلى استراتجية المترجمين في نقل الحذوف القرآنية وكيفية تعاملهم مع ظاهرة الحذف وذلك من خلال دراسة أمثلة مختارة من الترجمات المختلفة التي انتهجت مناهج متنوعة، فلذلك استشهدنا في بعض المواقف إلى المترجمين القدامى كما استفدنا من الترجمات المعاصرة.

أما بالنسبة إلى خلفية البحث فلابد أن نقول إن من أبرز البحوث التي قامت بالتنقيب عن أسباب اختلاف الترجمات بشكل عام، دراسة معنونة بـ «اختلاف ترجمه‌هاي قرآن كريم» (علل وعوامل) (عظيم‌پور، ١٣٨٠ش)، هذا البحث من أقرب البحوث تعلّقاً بموضوع الدراسة حيث تعرّض الباحث بإزاحة الستار عما ينتهي إلى التباين في الترجمات في أربعة فصول، وصرّح في المقدمة أن بعض هذه العلل طبيعية تؤدّي إلى تطور علم الترجمة (عظيم‌پور، ١٣٨٠ش: ٢٢-٢٥)، اختصّ الكاتب الفصل الثاني من كتابه بموضوع الحذف، مبينا أثره البارز في الترجمات الفارسية. كذلك في كتاب بعنوان «تفاوت ترجمه‌هاي قرآن از منظر ايدئولوژيك» (نژاد حقيقي، ١٣٨٨ش)، نرى أن الباحثة اهتمّت بالإفصاح عن الأثر الإيدئولجي في الترجمة وترى أن التحوّلات والتغييرات أثناء مسار الترجمة هي نتيجة للاهتمام بالبنية

Archive of SID

www.SID.ir

التحتية والميل إلى الإيضاح والتعبير عن العناصر الكامنة المحذوفة في الآيات، لذلك أنه ليس لدينا ترجمة خالصة عن القرآن الكريم وهذا هو السبب الأساس في اختلاف الترجمات. وهناك مقال بعنوان «اختلاف ترجمه‌هاي قرآن بر اساس دستور زبان عربي وساختار آن» (آذرنوش وعظيم‌پور، ١٣٨٣)، حيث تناول الباحثان أهم ما يؤثّر في تباين الترجمات القرآنية كعدم التطابق بين الضمير ومرجعه واختيار المعادلات اللغوية المتعددة، وعدم الانتباه إلى بنية المفردات القرآنية. ولكن على الرغم من هذا الاهتمام نحو دراسة هذا الموضوع في مثل هذه البحوث المشار إليها لابدّ أن نعترف أنّ معظمهالم يتناول إلا جزءاً محدّداً من الآيات والسور ولم يلق نظرة شاملة إلى هذه الظاهرة اللغوية وصورها، لذلك نحاول في بحثنا إضاءة زوايا هذا الجانب بالتفصيل. والجدير بالذكر أن موضوع الحذف كان موضع دراسة واهتمام لدى كثير من الباحثين، أما في مجال أثر هذه الظاهرة على اختلاف الترجمات القرآنية فلم نعثر على مقال يضيء جوانب هذة القضية بالتفصيل.

مفهوم الحذف البلاغي

إنّ «الحذف» مصدر للفعل المتعدّي الثلاثي «حَذَفَ ـ يحذِفُ» كـ «ضَرَبَ ـ يضرِبُ». قد استعمل للدلالة على معان متعددة ودلالات مختلفة، منها: الرمي، والقطع، والإسقاط، والرجم. جاء في الطراز للعلوي (المتوفّى ٧٤٩هـ) «الحذف في أصل اللغة الرجم بالشيء، يقال حذفه بالعصا، رجمه بها» (العلوي، ١٩١٤، ج٢: ١٧٦)؛ أمّا معناه في اصطلاح النحاة وعلماء البلاغة « أنه إسقاط حركة أو كلمة أكثر أو أقلّ ...وهذا المعنى أهمّ من معنى الصرفيين» (التهانوي، ١٩٦٣، ج٢: ٥٦-٥٧). ويعرّفه «الرماني» (٣٨٦هـ) بأنه «إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام» (الرمّاني، ١٩٦٨: ٧٦).

ولهذه الظاهرة صور متنوعة في الآي القرآنية؛ منها: حذف الحرف، وحذف الكلمة، وحذف الجملة والجمل، ولكلّ منها أهداف بلاغية خاصة وتتفاوت نسبة استخدامها حسب السياق القرآني تبعاً لطول النصّ، فنجد ارتفاع هذه النسبة في الآيات الطويلة نسبياً في حين تنخفض مع الآيات القصيرة نسبياً.

لو تأملنا فيما بينه العلماء في هذه الظاهرة نرى أن هذا الأسلوب يغربل العبارات والجمل لضغط المعنى وتأثير الكلام وذلك بوجود القرينة الدالة عليه، فهو «ليس من قبيل الإعدام البحتة بل واسطة بين الوجود والعدم، أي النطق والصمت» (ترجانيزاده، ١٣٤٠: ١٤٦).

Archive of SID

www.SID.ir

وإن الجنوح إلى هذه التقنية في النصوص تجعلها أكثر ثراء في المعنى وتخلق «ثورة في كلماتها» (شفيعي كدكني، ١٣٨١: ٢٣)، كما تتيح الحرية للفكر في الانطلاق لتركيب صور خلّابة. فمن هنا نستطيع القول أن الوظيفة الأولى التي تنهض بها ظاهرة الحذف بشكل عام كامنة في وسم النص بسمة «الانفتاح»، بحيث «يمكن أن تتعدّد الأفهام بتعدّد المتقبلين الفاهمين فتكون تلك الثغرات مصدراً من مصادر الطاقة الأدبية التي يختزنها الخطاب الإبداعي» (القلفاط، ٢٠٠٨: ١٧١).

أما هذا النقصان فيُعرف من خلال القرائن السياقية التي تصاحب القول، فتساعد على فهم المقصود من الكلام، مما يجعل التركيب اللغوي موجزاً في بنائه قوياً في دلالته. فيما يلي نلقي الضوء على أهمية القرائن للاهتداء إلى التلقي الصحيح.

القرينة وأقسامها

من أهمّ القرائن التي تعين القارئ في تعيين المحذوف ما يأتي:

أ) الدليل الحالي: قد تكون الحالة المشاهدة دليلاً على المحذوف نحو قوله تعالى: ﴿**وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا**﴾ (النحل/٣٠)، أي: أنزل خيراً. فحذف من الآية الفعل الماضي لدلالة الحالة المشاهدة عليه.

ب) الدليل الشرعي: تارة لا يمكن إدراك المحذوف بالعقل وحده وإن كان العقل يدلّ على الحذف من غير دلالة على تعيينه ويستفاد من تعيين المحذوف من دليل شرعي كما في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ (المائدة/٣) فحذف المضاف تقديره: تناولها. «أي حرم عليكم أكل الميتة والانتفاع بها» (الطبرسي، ١٣٧٢، ج٣: ٢٤٣).

ج) الدليل العقلي: وتارة يدلّ العقل وحده على الحذف وعلى تعيين المحذوف، كما جاء في القرآن: ﴿وَجَاء رَبُّك وَالْمَلَك صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر/٢٢) أي: أمره، فالعقل دال لاستحالة وامتناع مجيء الربّ جلّ وعلا.

د) الدليل النحوي: وقد تكون الصناعة النحوية دالة على المحذوف، مثل قول النحاة في هذه الآية: ﴿قَالُواْ تَاللّه تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكونَ حَرَضًا أَوْ تَكونَ مِنَ الْهَالِكينَ﴾ (يوسف/٨٥)، والتقدير: «لا تفتأ» بدليل الصناعة النحوية أنه لو كان الجواب مثبتاً لدخلت اللام والنون.

Archive of SID

www.SID.ir

أهمية القرائن السياقية للحذف القرآني

إنّ القرينة بأنماطها المختلفة توفّر للقارئ شروط التواصل مع النص وتساعده على الفهم الصحيح منه ومن هذه الزاوية تحديداً نستطيع أن ندرك كلّ هذا الإصرار عند القدامى على ضرورة وجود الدليل والسبب على المحذوف حيث أكّدوا أهميتها في تعاريفهم عن ظاهرة «الحذف»؛ كما نرى هذه الأهمية في قول «ابن الأثير» (المتوفّى ٦٣٧هـ) في المثل السائر: «الأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدلّ على المحذوف؛ فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف فإنّه لغو من الحديث، لا يجوز بوجه، ولا سبب، ومن شرط المحذوف في حكم البلاغة أنّه متى أظهر صار الكلام إلى شيء غثّ لا يناسب ما كان عليه أوّلاً من الطلاوة والحسن» (ابن الأثير، ١٩٣٩، ج٢: ٨١)، نجد نفس هذا التأكيد عند صاحب البرهان حيث يقول: «ولا بدّ أن يكون فيما أُبقِي دليل على ما أُلقِي» (الزركشي، ١٤٠٨، ج٣: ١١١). فبناءً على هذه الأهمية، نفهم أنّ القرائن السياقية تتكلّم في النص عن الجزء الخفي ويوفّر للمتلقي الوصول إلى المقصود، وهذه القضية شرط أساس في التقدير القرآني إذ علاقة وثيقة بين السياق وما قدّر في الآية القرآنية، فلا يجوز اختيار ما يخالف نسيج الآية وسياقها الكلي، يقول "عبدالسلام" (المتوفى ٦٦٠هـ): «لا يقدّر في القرآن من المحذوفات إلا أحسنها وأشدّها موافقة وملائمة للسياق» (عبدالسلام، ١٣١٣: ٢٢٠)، فالسياق العامل الأوّل والأهمّ في تقدير المحذوف، لذلك نجد بعض اللغويين ومعربي القرآن قد اجتهدوا في الكشف عن المقدّر مستأنسين بالعوامل السياقيّة المختلفة في الآيات الشريفة. أما ما يلاحظ عند معظمهم فهو الاعتماد على الطابع اللغوي والنحوي في حكمهم واستنتاجهم فلذلك «قدّروا كثيراً من الألفاظ في بنية القرآن ما أدّى إلى فهم سطحي أو تغيير في المعنى القرآني والرؤية القرآنية عن الوجود وآثاره... وكأن النص القرآني صنع حاجزاً بينه وبين المتلقي» (صحن، ٢٠١٢: ٩)، فمن هذا المنطلق نرى بعض العلماء يرفضون ظاهرتي الحذف والتقدير بالجملة، ويعتبرونهما وهماً وخطأ منهجياً في الفكر اللغوي وهذا لأسباب منها:

أ) تنوّع أنماط التعبير عن المعاني، واختلاف بعضها عن بعض في المعاني الجزئية، فاللغة لها أدوات تعبيرية لا حصر لها، وطرائق بنيوية متنوّعة وقدرات تحويلية لا حدود لها، فهي قادرة على التعبير عن كلّ معنى، بل تستطيع التعبير عن المعنى الواحد بطرائق مختلفة مع فوارق معنوية دقيقة يختصّ بها كلّ بناء. ففكرة الحذف تقوم على تقييد اللغة بأشكال ثابتة

Archive of SID

www.SID.ir

تقتضي وجود أركان معيّنة إن فقد أحدها حكم عليها النقص وسمّي المنقوص محذوفاً وهو أمر يتناقض مع طبيعة اللغة.

ب) قدرة كلّ من العلامات أو الحروف أو الألفاظ أو الجمل أو الأساليب أو السياق أو القرائن على الإيحاء بمعنى يفترض العلماء أن الألفاظ المحذوفة تؤدّيه، هذه القدرة يدركها السامع بحسّه اللغوي وفهمه لأسرار لغته، ومعرفة دلالاتها وإيحاءاتها فيستغني عن ذكر تلك الألفاظ المفترضة، وهذه الخصيصة في اللغة العربية ترتقي بها إلى مرتبة عليا، تؤهّلها لمراعاة ذكاء السامع وفطنته، ومعرفته وحواسّه، وحاله التي فيها، وقدرته على الربط بين الإشارات والإيحاءات (الخالدي، ٢٠٠٧: ١٩٦).

ففي ضوء هاتين الميزتين يستطيع المخاطب فهم النصوص القرآنية فهماً دقيقاً من غير تأويل أو تقدير.

أما ما يجب قوله هنا، فهو أن فهمنا لكثير من العبارات والجمل يعتمد على التقدير والألفاظ غير منطوقة في الكلام، ومن ثم فلا يجوز إنكار هذه الظاهرة جملة. فتقدير المحذوف في القرآن لا يعني أن هذا المحذوف المقدر جزء من القرآن لأن القرآن ثابت بنصه، وإنما هي محاولة لفهم القرآن واستنكاه أسراره ومعرفة الدلالات المترتبة على الحذف فيه. هذا ما أشار إليه "شهاب‌الدين الخفاجي" (٩٧٧-١٠٦٩هـ) في حاشيته على تفسير البيضاوي، قائلاً: «فإن قلت: مقدّرات القرآن هل هي منه حتى يطلق عليها كلام الله أم لا؟ قلت: معانيه ممّا يدلّ عليه لفظ الكتاب التزاماً للزومها في متعارف اللسان، فهي من المعاني القرآنية؛ وأما ألفاظها ليست منه؛ لأنها معدومة» (الخفاجي، ١٩٩٤: ٣٣). ربط صاحب دلائل الإعجاز بين ثنائية الذكر والحذف حينما عدّ الصمت أكثر تأثيراً من الإفصاح «إنّه ما من اسم أو فعل نجده حذف ثمّ أصيب به موضعه وحذف، في حال ينبغي أن يحذف فيها إلا وأنت تجد حذفه أحسن من ذكره وترى إضماره في النفس آنس من النطق به» (الجرجاني، ١٩٨٨: ١٦٢).

ومما سبق لابدّ من القول أن لهذه الظاهرة أثرا بالغا في التوسيع الدلالي كما تفتح المجال للقارئ ليحضر في دائرة النص ساعياً لفهم جمالية الحذف التعبيرية والتعامل مع بنية النص اللغوية.

Archive of SID

www.SID.ir

أهمية مسألة الحذف في الترجمة القرآنية

إن أهمية مقولة الحذف تختلف في النصوص وليست مكانتها في النصوص العلمية أو الأدبية كمكانته في آي القرآن الكريم إذ هو مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني ويكتنف على دلالات بلاغية تؤثّر في المعنى المقصود. وعلى هذا الأساس انكبّ المفسّرون والمعربون وعلماء البلاغة على دراستها ليستخرجوا دقائقها ولطائفها البلاغية. لنقل معنى القرآن إلى لغة أخرى، يجب على الناقل أن يوصل للقارئ الفقرة الفكرية المتروكة في النصّ القرآني، واضعاً ما يترجمه بين قوسين. وإذا لم يقم بذلك فإن الجملة المعنية في الترجمة تفقد حيويتها، وفي كثير من الأحيان تفقد مفهومها أيضاً.

تبيّن دراسة هذه الظاهرة في ميزان الترجمة أن كثيراً من العقبات والخلافات الترجمية تتجذّر في إعادة الأجزاء المقطوعة عن النصّ. ولا بدّ من فهم هذه الظاهرة اللغوية في ضوء القرآن نفسه على أساس الوحدة الموضوعية القرآنية، فهي المقياس في تقدير المحذوف، أو رفضه نظراً إلى كمال الدلالة من غير الحذف. فلا يكفي في التقدير مجرد الجواز النحوي والاحتمال الإعرابي، بل لا بدّ من رعاية الفصاحة القصوى والبلاغة العليا. وهذا يدلّ على أن من يريد أن يتصدّى لنقل معاني القرآن الكريم يجب أن يدرك هذه الظاهرة إدراكاً عميقاً. وفي هذا يقول السيوطي (المتوفّى ٩١١هـ): «أُنزِل القرآن على ثلاثين نحواً، كلّ نحو منه غير صاحبه، فمن عرف وجوهها ثمّ تكلّم في الدين أصاب ووُفِّق، ومن لم يعرفها وتكلّم في الدين كان الخطأ إليه أقرب، ومنها السبب والإضمار» (السيوطي، دون تا، ج٣: ١٠٧).

ونظراً للمنهج العام في الترجمات المعاصرة في اهتمامهم بالمعنى وعدم تقيّدهم بالألفاظ نجد أن المترجمين لم يتوقّفوا عند أسس النظام التركيبي للغة المصدر، بل حاولوا الخروج عن هذا النظام في إطار النص الهدف لذلك نلاحظ أن النص الهدف قد خضع لبعض التحوّلات والتغييرات أثناء مسار الترجمة. أما بالنسبة إلى النصوص المترجَمة القديمة فيختلف الأمر تماماً إذ كان النقلة ملزمين بسمات النص اللغوية في جميع مستوياتها التركيبية. ووقفوا بكثير من الانجذاب الروحي والعقلي لأنهم أدركوا ما تختزنه من عجيب التأليف، وبديع التصوير، وعمق التحليل في المستويات كلّها. فبناءً على هذا يمكن أن نلخص إشكالية المنهج التقليدي للترجمات القديمة في مستويين:

أ) على المستوى الدلالي: ينحرف المعنى ويكتنف الترجمة الغموض والالتباس.

Archive of SID

www.SID.ir

ب) وعلى المستوى التركيبي: يضطرب النص المترجَم لكونه يبتني بنية اللغة الأصل لا بنية اللغة الهدف.

ولا نبالغ إن قلنا إن أكثر الترجمات القديمة وقفت عند ظواهر الآيات دون أن يجتازها إلى كوامن القرآن وأسراره وأساليبه التي تساعد كثيراً في فهم الآيات وإزالة الحواجز في إدراكها وبالتالي في نقلها إلى الآخرين نقلاً أميناً ولعل السبب في ذلك يعود إلى الجانب العقائدي عند المترجمين وقداسة الوحي السماوي.

ففي ترجمة قوله تعالى على سبيل المثال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (فصلت/٤١)، لم يعبّر أصحاب الترجمات عن الخبر المقطوع من النص[1] ليتحقّق تواصلية الترجمة:

الترجمة الرسمية: «حقًا كه آن كس‌ها كه كافر شدند بياد كرد چون آمد بديشان، كه اين كتابى است عزيز».

أبوالفتوح الرازي: «آنان كه كافر شدند به قرآن چون آمد به ايشان، وآن كتابى است عزيز».

القرن العاشر: «بدرستى كه آنانى كه نگرويدند به اين قرآن چون آمد ايشان را وبدرستى كه اين هر آينه نامه‌اى است شكوه‌مند».

أقسام الحذف في الترجمة

يمكن تقسيم أسلوب نقل العناصر المغيبة في النص المصدر في ظلّ الترجمة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يشتمل على الآيات التي يرتبط فهمها بالمحذوف ترابطاً وثيقاً حيث لا يمكن الوصول إلى مغزاها إلا بفهم التقدير. فلا بدّ للمترجم أن ينقله بدقة وأمانة متناهية ليكون النقل ملائماً مع اللغة المترجم إليها في تراكيبها ومستوياتها البلاغية. ففي قوله تعالى

---

١. الجدير بالذكر أن في خبر «إن» وجوه أظهرها أنه محذوف تقديره «لا يخفون علينا» ويؤيد هذا الوجه كون إن الثانية بدلاً من «إن» الأولى فيسري عليها ما يسري على الأولى والقاعدة ان المحكوم به على البدل محكوم به على المبدل منه وذكر المعربون أوجها أخرى نورد خلاصتها فيما يلي:أ. إنه محذوف لفهم المعنى وتقديره معذبون أو مهلكون وهو وجه سديد أيضا؛ ب) إنه محذوف قدره الجلال بقوله: «نجازيهم»؛ ج) إنه موجود مذكور وهو قوله فيما بعد «أولئك ينادون»؛ د) إنه موجود مذكور وهو قوله: «لا يأتيه الباطل» والعائد محذوف أي لا يأتيه الباطل منهم نحو (درويش، ١٤١٥، ج٨: ٥٧٠).

Archive of SID

www.SID.ir

مثلاً: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ (الإسراء/٥٩)، «مبصرة» نعت لمنعوت محذوف كما ورد في الكتب التفسيرية: «آية مبصرة» (الطبرسي، ١٣٧٢، ج٦: ٦٥٣)، فليس المقصود «أن الناقة كانت مبصرة، ولم تكن عمياء، وإنما يريد آية مبصرة» (ابن الأثير، ١٩٣٩، ج٢: ١٠٢)، فلو تركنا البنية التحتية للآية واكتفينا بما يدلّ عليه ظاهر الآية لأخطأنا في فهم المقصود كما قد أساء الفهم بعض أصحاب الترجمات الحرفية؛ كترجمة "شعراني": «ودياديم ثمود را ناقه بينا كننده پس ستم كردند به آن» وفي ترجمة "أرفع": «به ثمود شترى در برابر ديد همه دياديم وبه او ظلم كردند». كما يلاحظ أنهما اكتفيا بالظاهر، ولم يبرزا المحذوف، ولذلك حدث نوع من الاضطراب في أداء المعنى. أمّا نقل المنعوت الخفي فيضيف المقصود جلاء، كما ذكره أصحاب الترجمات الحديثة لإيضاح النصّ واتساقه، كترجمة "فولادوند": «وبه ثمود ماده شتر داديم كه [پديده‌اي] روشن‌گر بود».

القسم الثاني: يضمّ الآيات التي لا يؤدّي إهمال الحذوف أو ذكرها إلى اختلاف جذري في النقل، وذلك بأسباب متعددة كتقارب اللغتين في بعض الخصائص اللغوية، والتركيبية. كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ (القارعة/١٠-١١). حُذِف المبتدأ لأسباب بلاغية وفي إسقاطه كسبت الآية حركة جمالية مثيرة، فلا يحدث عدم نقله في الترجمة ثغرة دلالية عظيمة كأن نظام اللغة الفارسية معتاد بهذه الصورة الحذفية وبينه وبين اللغة العربية تطابق وتكافؤ في المستوى النحوي.

والقسم الأخير يشمل الحذوف التي يجدر إهمالها في اللغة المنقول إليها إذ هي من خصائص اللغة المصدر ويمكن اعتبارها من التصوّرات النحوية حيث يعتبر نقلها نوع من التكلّف، لذلك نرى أن الزركشي يرى أنه «قد توجب صناعة النحو التقدير وإن كان المعنى غير متوقّف عليه وقد يقدّر النحوي ليعطي القواعد حقّها وإن كان المعنى مفهوماً» (الزركشي، ١٤٠٨، ج٣: ١١٥). ويضاف إلى القسم الأخير بعض الحذوف التي تظهر داخل بنية الكلمات كالحذف الصرفي والحذف الصوتي. ففي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف/٥٢)، قد أحسّ بعض المترجمين أهمية الأقسام المحذوفة متأثرين بالرؤية النحوية التي تفرض ضرورة توافر أشكال ثابتة للجمل القرآنية فأظهروها خلال الترجمة:

Archive of SID

www.SID.ir

خسروي: «**بحق سوگند** كه ما براى آنها (أهل مكه وقريش) كتابى آورديم (يعنى قرآن) (كه محتاج بتعريف وبيان نيست ودر هر چيز كامل است)...».

بلاغي: «**وقسم است** كه آورديم مردم را به قرآنى كه آنرا موشكافى كرديم- بر دانش- براى هدايت ورحمت براى گروهى كه (سر وسرّى با ايمان دارند و) مى‌گروند».

أو في قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ**﴾ (التكوير/٢٣).

خسروي: «**بحق قسم** كه محققاً محمّد صلّى الله عليه وآله جبرئيل را در افق آشكار (زمان طلوع آفتاب از مشرق) (بصورتيكه خدا او را خلق كرده است) بديد».

بلاغي: «**والبته، قسم** كه محمّد، خدا را در افق امكان ووجوب ديده است (و قرآن را شنيده است)».

وترجمة قوله سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم**﴾ (العنكبوت/٣).

تفسير قرآن كمبريج: «**بخداي** كه مبتلا كرديم آن كسان را كه پيش از ايشان بودند».

بلاغي: «**وقسم است** كه آزمايش كرديم كسانى را كه از پيش از امت اسلام بودند».

خسروي: «**وبحقيقت سوگند** كه امّتهاى قبل از امّت محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم را (بفرايض وشدايد ومصائب برحسب اختلافشان) بمعرض ابتلاء وآزمايش آورديم».

وما يستحقّ قوله هنا أنه لا ضرورة لذكر المقطوع ولا دليل لافتراض مثل هذه التقديرات في الترجمة، وفي هذا المجال يقول أحد الباحثين: لو عدنا إلى طرائق القسم لوجدناه كثيرة فقد يذكر الفعل وقد يُستغنى عنه، فالأساليب العربية لا تعتمد القوالب والأشكال، فثمة موحيات بالمعنى تغني عن ذكر أجزاء القسم فلا حذف ولا تقدير لأن ما لم يذكر فيه الفعل نمط آخر غير النمط الأول (الخالدي، ٢٠٠٧: ٤٩). وقد تجرّ هذه التقديرات إلى زيادة معان في الترجمة من غير حجة ولا دليل حيث لا يرتضيه الذوق اللغوي ولا يلائم مقتضيات الأساليب الفارسية البليغة. فيحدث مغايرة في شكل النص المترجم ومضمونه.

أثر الحذف البلاغي في اختلاف الترجمات القرآنية

لو دقّقنا في ترجمة العناصر المحذوفة في الآيات وجدنا أن اختلاف المترجمين ترجع إلى الأسباب التالية: أ) في تعيين المحذوف وكيفية ذكره؛ ب) في كيفية التقدير من حيث نوعه ومقداره ومكانه؛ ج) دقائق الحذف الدلالية؛ د) تعددية المعنى.

Archive of SID

www.SID.ir

تعيين المحذوف وكيفية ذكره:

نظراً لكون النص القرآني حافلاً بالحذف حتى تكاد لا تخلو منها آية من آي القرآن الكريم، فإن التعرّف عليه وأغراضه الدلالية أمر حتمي للمترجم لئلّا يأتي بالترجمة التي تسبّب الإبهام وعدم فهم المعنى المراد. وفي كثير من مواطن الحذف نجد العلماء غير متفقين على أن هاهنا حذفاً، وإن اتفقوا على الحذف اختلفوا في تقديره. وهذا أدى إلى تأمل طويل، وسبر لأغوار السياق للوقوف على الدلالة.

فقد اختلفت ترجمة معنى الآية التالية لما ورد لها من تعدّد التوجيه الإعرابي في كتب التفسير: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف/١٨)، ففيه يحتمل أن يكون المحذوف المسند إليه، ويكون معنى الآية على ذلك: «فصبري صبر جميل» أو «فشأني وأمري صبر جميل». والفائدة المعنوية المستفادة من وراء هذا الحذف هي: «تصوير حيرة يعقوب عليه السلام وتسليمه الأمر لله سبحانه وتعالى وحزنه الشديد لهذا الموقف» (أبو رضا، ٢٠٠٦: ١١٩). عالج بعض المترجمين الترجمة على هذا التقدير:

الميبدي: «اكنون كار من شكيبايى است نيكو».

فيض الإسلام: «پس وظيفه وكار من (در اينكه بيش آمد) صبر وشكيبايي نيكو است».

ويحتمل أن يكون المسند هو المحذوف فيكون معنى الآية «فصبر جميل أولى بي» أو «فصبر جميل أجمل»، وغاية الحذف في هذا المقام الكشف عن حثّ يوسف عليه السلام لنفسه على الصبر والتجلّد، ورد هذا المقصود في الترجمات التالية:

أنصاريان: «در اين حال صبرى نيكو [مناسب‌تر است]».

فولادوند: «اين‌كه صبري نيكو [براي من بهتر است]».

ومما تستحقّ الإشارة إليه هنا أنه مع احتمال الآية لهذه المعاني نجد من البلاغيين من يرجّح أحد الوجوه على غيرها مستدلاً بسياق الآية التي وردت مسوقة لمدح يعقوب عليه السلام يقول صاحب الطراز: «حذف الخبر وإن كان وارداً على جهة الكثرة، لكن حذف المبتدأ ههنا أبلغ، لأنه الآية وردت في شأن «يعقوب» فلا بدّ من أن يكون هناك اختصاص به، فإذا كان تقديره فأمري صبر جميل كان أخصّ به وأدخل في احتماله للصبر واختصاصه به» (العلوي، ج٢: ١١٨). ومن الطريف أن قسماً آخر من الخلافات الترجمية يعود إلى فرض التقدير أو عدمه

Archive of SID

www.SID.ir

في الآيات حيث قد تسفر عن إصدار أحكام متعددة، ففي قوله تعالى على سبيل المثال: ﴿**أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾ (البقرة/١٨٤) يرى علماء السنة أن الشرط محذوف في الآية والمقدّر: «إن أفطر فعدة أيام أخر» (ابن الجوزي، دون تا، ج١: ١٤١؛ الآلوسي، ١٤١٥، ج١: ٤٥٥)، فاتفقت قاطبة فقهاء السنة على الخيار بين الصوم والإفطار. بينما رفض مفسّري الشيعة التقدير نظراً إلى كمال الدلالة من غير الحذف لذلك يخالفهم الطبرسي في الرأي ويقول: «من قدّر في الآية فقد خالف الظاهر» (الطبرسي، ١٣٧٢، ج٢: ٤٩٣)، ومردّ ذلك: « أولاً أن التقدير كما صرّحوا به خلاف الظاهر لا يصار إليه إلا بقرينة ولا قرينة من نفس الكلام عليه. وثانياً: أنّ الكلام على تقدير تسليم التقدير لا يدلّ على الرخصة فإن المقام كما ذكروه مقام التشريع، وقولنا: فمن كان مريضاً أو على سفر فأفطر غاية ما يدلّ عليه أن الإفطار لا يقع معصية بل جائزاً بالجواز بالمعنى الأعم من الوجوب والاستحباب والإباحة، وأما كونه جائزاً بمعنى عدم كونه إلزامياً فلا دليل عليه من الكلام البتة بل الدليل على خلافه فإن بناء الكلام في مقام التشريع على عدم بيان ما يجب بيانه لا يليق بالمشرع الحكيم وهو ظاهر» (الطباطبائي، ١٤١٧، ج٢: ١١).

فبناءً على هذا التفريق في جواز الإفطار أو وجوبه في السفر الذي هو ناتج عن مسألة التقدير نلاحظ أن الخلاف أظهر نفسه في الترجمة أيضاً:

خرمدل: «(روزه در) چند روز معين واندكي است، وكساني كه از شما بيمار يا مسافر باشند (اگر افطار كردند وروزه نگرفتند، به اندازه آن روزها) چند روز ديگري را روزه مي‌دارند».

فيض الإسلام: «روزهاي شمرده شده را روزه گيريد، پس هر كه از شما بيمار يا مسافر باشد بر او است بشمار آن روزها از روزهاي ديگر روزه بگيرد».

فنلاحظ أن «خرمدل» ـ وهو من مترجمي السنة ـ يعبّر عن جواز الأمر بإتيانه بالتقدير المحذوف بين الهلالين بينما يؤكد «فيض الإسلام» على وجوب الإفطار في حالتي المرض والسفر مستفيداً مما يدلّ على وجوب الأمر بقوله: «بر اوست».

كيفية التقدير من حيث نوعه ومقداره ومكانه:

وقد يعود التباين بين المترجمين إلى كيفية التقدير ونوعه ومثاله قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ**﴾ (فاطر/٤) فجملة «فقد كذبت رسل من قبلك» ليست جواب

Archive of SID

www.SID.ir

الشرط، وإنما جواب الشرط محذوف لأنّ الجواب ينبغي أن يترتّب مضمونه على مضمون فعل الشرط فـ «الجواب مسبب عن الشرط» (ابن هشام، ٢٠٠٩، ج٢: ٣٨٤)، وتكذيب الرسل سابق على تكذيب النبي الأكرم ﷺ فجملة «فقد كذبت» علّة للجواب المحذوف وهو الصبر على الابتلاء فدلّت عليه، وبذلك يكون تقدير الكلام «وإن يكذبوك فاصبر فقد كذّبت رسل من قبلك» (الزركشي، ١٤٠٨، ج٣: ٣٢٢).

طاهري: «اگر تو را تكذيب مى‌كنند، [امر تازه‌اى نيست] قبل از تو [نيز] پيامبرانى مورد تكذيب قرار گرفتند».

إلهي قمشه‌اي: «(اى رسول ما غمين مباش) اگر تو را اين امت (نادان) تكذيب كنند پيمبران پيش از تو را نيز (امتهاشان) تكذيب كردند».

فولادوند: «واگر تو را تكذيب كنند، قطعاً پيش از تو [هم] فرستادگاني تكذيب شدند».

خرمشاهي: «واگر تو را دروغزن شمردند بدان كه پيامبران پيش از تو هم با تكذيب روبه‌رو شدند».

وفي قوله تعالى: ﴿**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (البقرة/٢٢٣).

فولادوند: «... وآنها را براي خودتان مقدم داريد، واز خدا پروا كنيد وبدانيد كه او را ديدار خواهيد كرد، ومؤمنان را [به اين ديدار] مژده ده».

مسعود أنصاري: «و[ره توشه‌اى از كارهاى نيك] براى خودتان پيش فرستيد. واز خداوند پروا بداريد وبدانيد كه شما به لقاى او خواهيد رسيد. ومؤمنان را نويد ده».

مكارم الشيرازي: «و(سعى نمائيد از اين فرصت بهره گرفته، با پرورش فرزندان صالح) اثر نيكى براى خود، از پيش بفرستيد! واز خدا بپرهيزيد وبدانيد او را ملاقات خواهيد كرد وبه مؤمنان، بشارت ده!».

عجز أصحاب الترجمات عن استيفاء المدلول الكامل لبعض التراكيب والجمل فشرحوها في الذيل والهامش كترجمة أبوالقاسم إمامي.

Archive of SID

www.SID.ir

الجوانب الدلالية للحذف:

إن الحذف يترك فجوة في مستوى البنية التركيبية تؤثّر في المعنى، و«الدلالة تتجه نحو متعلّقات الجملة المذكورة في حال أن يحذف أحد أطرافها، فإن حذف الفعل اتجهت الدلالة إلى الفاعل أو المفعول به فيكون التركيز عليهما وعلى ما يتعلّق بهما في النص» (الجنابي، ٢٠٠٩: ١٢٨)، فالمترجم بصفته محلّلاً للنص يجب أن يأخذ مثل هذه اللطائف الدلالية بعين الاعتبار، ففي قوله تعالى: ﴿**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَهِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِك الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِك هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ (البقرة/١٧٧)، لا يمكن أن يكون «الصابرين» معطوفاً على ما تقدّم، فالواجب في ذلك أن يقدّر مقدّر ليستقيم الإعراب، كما قال درويش: «كان سياق الكلام أن يكون منسوقاً على ما تقدّم، ولكنه قطعه عن العطف ونصبه على المدح بفعل محذوف تقديره «أمدح» إشعاراً بفضل الصبر وتنويهاً بذلك الفضل» (درويش، ١٤١٥، ج١: ٢٥١)، فحذف الفعل لتركيز الانتباه على المفعول من دون سواه لأنه هو المراد به. فنظراً لهذا التفسير نلاحظ أن المترجمين لم يهتمّوا بالأثر الدلالي للحذف ولا تفيد ترجماتهم معنى الاختصاص:

الميبدي: «وشكيبايان در بيمناكي‌ها ودر تنگي‌ها، ودر وقت جنگ...»

فيض الإسلام: «وهنگام جنگ (جهاد وكارزار با دشمنان دين خدا) صابر وشكيبا باشند»

فولادوند: «ودر سختي وزيان، وبه هنگام جنگ شكيبايانند...»

وبالتتبع في الترجمات الفارسية نرى أن هذا التركيب الحذفي لفت انتباه بعض المترجمين فدفعهم إلى ذكر ما يصوّر معنى الاختصاص في الفارسية لقرب التركيب من نظام اللغة المستهدفة:

مجتبوي: «ونيز وفاداران به پيمان خويش چون پيمان بندند، **و[بويژه]** شكيبايان در بينوايي وتنگدستي».

گرمارودي: «و(نيكى از آن) آنان (است) كه چون پيمان بندند وفا كنند؛ **وبه ويژه** شكيبايان در سختي ورنج».

Archive of SID

www.SID.ir

الحذف وتعددية المعنى:

كما أشرنا فيما تقدّم أن الحذف يفتح الباب على مصراعيه أمام المتلقّي ليبحث فيما بين يديه عما غاب عن النص، وعن الصلة القائمة بين أجزاء الكلام. ولعلّ في ما عقده البلاغيون في حديثهم عن الحذف الذي يحتمل أن يكون المحذوف فيه المسند أو المسند إليه، خير دليل على وفرة تأويلات المعنى التي يتيحها الحذف وهذا التعدّد «لا يتوافر للعبارة ذات التركيب اللغوي التام؛ لأن حدود المعنى فيها مهما اتسعت فإنها تكون محدودة وذلك لتقيّدها بالألفاظ الدالة عليها، وهنا تكمن نقطة هامة في نظر البلاغيين حينما يفاضلون بين الجملة الحذفية التي فتحت الباب واسعاً أمام تعدد المعنى، وبين الجملة ذات التركيب اللغوي التام المعلومة الحدود، فيحكمون بأفضلية الجملة التي اعتمدت أسلوب الحذف، فقد رأوا مثلاً إن حذف جواب الشرط من بعض النصوص أبلغ من ذكره لأن الحذف يتيح للمتلقّي أن يتوسّع في تصور الاحتمالات الممكنة التي يصحّ حمل الكلام عليها بخلاف ذكر الجواب الذي يقصر المتلقي على الوجه المذكور ولذا تراهم يقولون إن الحذف «أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب في الحذف كلّ مذهب، ولو ذكر الجواب لكان مقصوراً على الوجه الذي تناوله الذكر» (حسين، ١٤٣٢: ٢٠٧).

«إنّ اللغة ليست حساباً منطقياً دقيقاً لكلّ كلمة معنى محدّد ولكلّ جملة معنى محدّد ولكلّ الجمل وظيفة واحدة وإنما تتعدّد معاني الكلمات بتعدّد استخداماتنا لها في اللغة العادية وتتعدّد معاني الجملة الواحدة حسب السياق الذي تذكر فيه، وأنّ الكلمة مطاطة تتّسع وتضيق استخداماتها حسب الظروف والحاجات» (زيدان، ١٩٨٥: ١٠٦)، فتعددية المعنى الناتجة عن الحذف تنشأ تتمثل في شكلين:

أ) بين وجود الحذف وغيابه تعدّد ممكن للمعنى

ولم يكن الحذف مسلّماً به دائماً في تفاسير القرآن، إذ تجد بعض المفسّرين يسقطون بعض الحروف من القول لتجنّب القول لاحذف، وهذا ما تجسّم في أقوال حذف منها جواب الشرط.

ب) في تعيين المحذوف تعدّد ممكن للمعنى

الأغلب عند مستعملي اللغة التسليم بالحذف عند وجوده، غير أنّهم قد يختلفون في حال كون المحذوف مبتدأ وخبراً. وينتفي هذا الاختلاف النظري إذا قطع السياق أو المقام بأحد العنصرين بالذات محذوفاً. أمّا إذا لم يقطع السياق والمقام بموضع المحذوف فيجوز اختلاف تعيينه استناداً إلى بعض القرائن النحوية. فإن كان الدليل على المحذوف ـ أي إن كان الباقي

Archive of SID

www.SID.ir

من الجملة ـ نكرة غلب اعتبار المحذوف خبراً وجاز اعتباره مبتدأ بتقدير خبر محذوف (يوسف، ٢٠٠٢: ٧٤).

تتجلى تعددية المعنى بإسقاط حرف الجر في قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ**﴾ (النساء/١٢٧)، فـ«رغب» يصل إلى المفعول بحرفين يؤدّيان معنيين متعاكسين ولابد من ذكر أحدهما إذا أريد معنى بعينه، فإذا قيل «رغب في» دلّ على معنى الإيجابية، وإذا قيل «رغب عن» دلّ على الرغبة السلبية، وحذف الحرف هنا يوقع في اللبس على حد ما يزعمون. فبحذف المتعلّق الفعل يتعدد معنى الآية ويشمل كلا الاحتمالين ولذلك يقول الزمخشري في توجيه هذه المسألة: «يحتمل في أن تنكحوهن لجمالهن وعن أن تنكحوهن لدمامتهن» (الزمخشري، ١٤٠٧، ج١: ٥٧٠). فهنا قد ظهر أثر الحذف واضحاً، فإنه لما حذف حرف التعدية للفعل جعل لفظ الآية يتسع ويحتمل كلا المعنيين، فأعطى سعة للمترجمين في التوصّل إلى كلا المعنيين:

الميبدي: «ورغبت نمي‌كنيد كه بزنى كنيد ايشان را».

فيض الإسلام: «و(براي جمال ونيكويي ومال وداراييشان) خواهانيد كه آنها را بنكاح وزني (خويش) درآوريد».

فولادوند: «وتمايل به ازدواج با آنان داريد».

والملاحظ أن صاحب نحو القرآن يذهب في تأويل هذه الآية مذهباً آخر قائلاً: «الأصل في الرغبة هو الذي يحدد علاقته بالمفعول أي أن تكون رغبة في الشيء. أما الرغبة عن الشيء فهي الفرع الذي لا يعرف إلا بذكر الحرف «عن» وهذا المعنى هو الذي يقتضي إثبات الحرف أما حذف الحرف فيصرف معنى الفعل إلى أصله وهو الرغبة في الشيء. وإذن فلا مجال للالتباس على الإطلاق» (الجواري، ١٩٧٤: ٥٣-٥٤).

قد يستند تعدد العنصر المحذوف إلى تفسير للسياق بالبحث في معانيه الاقتضائية أو الاستدلالية. فمن ذلك الاختلاف في مزين الشهوات في قول الله تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّساء**﴾ (آل عمران/١٤)، فقد اختلفوا في قوله: «زين للناس» من الذي زين ذلك؟ فذهب البعض إلى أنه الله وآخرون إلى أنه الشيطان. واعتمد الفريق الأول على إسناد الله تعالى لنفسه خلق كلّ شيء ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً**﴾ (البقرة/٢٩)، مما يقتضي خلقه للزينة. أما الفريق الثاني فاستند إلى المعنى المقصود بقول الله تعالى آخر الآية

Archive of SID

www.SID.ir

المذكورة: «ذلِكَ مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا»، فهو معنى الذمّ للدنيا واستدلوا بأن الذام للشيء يمتنع أن يكون مزيناً له، وإذا لم يكن المزين هو الله فإن سياق القرآن الذي يسند إلى الشيطان تزيين الشهوات للناس يسمح بتعيين الشيطان محذوفاً (فخر الرازي، ١٤٢٠، ج٧: ١٦٠).

كذلك نجد التعمية والمعنى المغلق عند ترك الجمل المعلّلة في العطف بالواو في كثير من الآيات، والظاهر أنه يحدث في القرآن لما في الآيات من طول الكلام، أو تكرر للعناصر التي يمكن الاستغناء عنها لورود مثلها أو مقابلها، ففي الآية الكريمة على سبيل المثال: ﴿**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ (الأحقاف/١٩)، «اللام» في «لِيُوَفِّيَهُمْ» للغاية وما بعدها متعلق بالمعلل غير المذكورة، يقول العلامة الطباطبائي في تفسير الآية: «والجملة معطوفة على غاية أو غايات أخرى محذوفة لم يتعلق بذكرها غرض، وإنما جعلت غاية لقوله: «لِكُلٍّ دَرَجاتٌ» لأنه في معنى وجعلناهم درجات، والمعنى: جعلناهم درجات لكذا وكذا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون» (الطباطبائي، ج١٨: ٢٠٤). وفي قوله سبحانه: ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ (الأنفال/١٧)، والجملة لبيان الغاية وهي معطوفة على مقدر محذوف، والتقدير: إنما فعل الله ما فعل من قتلهم ورميهم لمصالح عظيمة عنده، وليبلي المؤمنين ويمتحنهم بلاء وامتحانا حسنا أو لينعم عليهم بنعمة حسنة، وهو إفناء خصمهم وإعلاء كلمة التوحيد بهم وإغناؤهم بما غنموا من الغنائم (الطباطبائي، ١٤١٧، ج٩: ٣٩).

والجدير بالانتباه أن بعض الأجوبة المقدرة التي تذكر في إكمال النظام الشرطي مصدر الاختلاف بين المترجمين، نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾ (الفتح/٢٥)، نلاحظ ترجمة الآية على الشكل التالي:

الميبدي: «واگر نه آن بوديد كه مردانى بودند در مكه گرويدگان، وزنانى بودند گرويدگان، شما ندانستيد حال ايشان وآگاهى نداشتيد از ايشان كه ايشان را بكشتيد بنادانى، وبشما رسيدى از ايشان گزندى، [آن را كرد الله] تا پيش در آرد در رحمت خويش (و در اسلام) او را كه خواهد، اگر آن مؤمنان از كافران جدا گشتنديد واز مكه بيرون آمديد ما عذاب كرديد ناگرويدگان ايشان را عذابى دردنماى».

Archive of SID

www.SID.ir

فيض الإسلام: «واگر مردان وزنان ايمان آورنده نبودند كه شما نمي‌دانستيد آنان را پايمال خواهيد كرد پس از ايشان بدون علم ودانش تعيير وسرزنش بشما ميرسيد، هر آينه خدا دست‌هاي شما را از ايشان باز نمي‌داشت».

فولادوند: «واگر [در مكه] مردان وزنان با ايماني نبودند كه [ممكن بود] بي آنكه آنان را بشناسيد، ندانسته پايمالشان كنيد وتاوانشان بر شما بماند [فرمان حمله به مكه مي‌داديم]».

فنظراً للمنهج العام في الترجمات القديمة في اهتمام المترجمين باللغة المنقول منها لا نجد عند «الميبدي» ما يعبّر عن المحذوف، فاتسمت ترجمته بالحرفية وهي أمينة للنص المصدر في الشكل والمعنى؛ فلم يحاول المترجم لترشيد وإعادة صياغة الآية بينما ربط «فيض الإسلام» و«فولادوند» أجزاء النص بذكر ما سقط عن الآية في جواب «لولا» الشرطية والملاحظ أن المذكور في جواب «لولا» يختلف عندهما وهذا يدل على أن البنية الحذفية تفسح فضاءً خصباً للاجتهاد.

ففي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر/٢٢) نلاحظ أن المترجمين تناولوه بالشكل التالي:

الميبدي: «وآيد خداي تو وفريشتگان قطار قطار».

الإسفراييني: «وآيد فرمان قضا[ي] خداي تو وفريشتگان صف صف ايستاده باشند»

السورآبادي: «وفرا شمار خلق آيد خداي تو وفريشتگان بيايند وبيستند رس رس».

يتبين لنا من هذه النماذج أن الترجمة كانت متأثرة بشكل كبير بالرؤية الأيدلوجية عند المترجم، ففي ترجمة «الميبدي» نلاحظ أنه حدّد معنى الآية في ضوء الرؤية الحسية فنسب المجيء إليه تعالى فنقل الآية نقلاً حرفياً متأثراً بمذهبه، قائلاً: «مذهب اهل سنت واصحاب حديث در چنين اخبار وآيات صفات، بظاهر برفتن است وباطن تسليم كردن، واز تفكر در معانى آن دور بودن، وتأويل نه نهادن، كه تأويل راه بى راهان است» (الميبدي، ١٣٧١، ج١: ٥٧٧)، (إن مذهب السنة وأصحاب الحديث في مثل هذه الأخبار والأوصاف هو التمسك بظواهر الآيات وترك بطونها وعدم التعمق والتأويل في معانيها إذ إن التأويل ليس سوى منهج الضالين).

Archive of SID

www.SID.ir

النتائج

تناولنا فيما تقدّم أهمية الحذف والقطع في الكلام الإلهي من خلال النظر في وعاء الترجمة وبيّنا القيمة الدلالية لهذه الميزة وأثرها في الترجمات الفارسية بشكل كلّي. فعرفنا أن مفهوم الحذف في الترجمة ذو جوانب متعددة يستلزم المترجم التعمّق فيها. إن المترجم يجب أن يضع نصب عينيه أن السياق القرآني هو المصدر الأساس في تحديد المحذوف فينبغي دراسة هذه السمة الأسلوبية والبلاغية في ضوء الآيات القرآنية نفسها لكي يدرك المعنى القرآني وتتكامل أبعاده. فدراسة الجملة الحذفية منعزلة عن نصها فساد في المقصود.

تبين لنا في ضوء النماذج المدروسة أن الاختلاف والتغاير متجذر في مناهج المترجمين وأسلوبهم في الترجمة. يميل المترجمون القدامى إلى الترجمة الحرفية والالتزام بالصياغة القرآنية نفسها ولكن رغم ذلك نرى أن بعضهم كالميبدي اهتمام كبير بالمعاني المقدرة في الآيات الكريمة، ولعلنا لا نعدو الصواب لو قلنا إنه من الأوائل من أورد الحذوف القرآنية خلال نقل آيات الذكر الحكيم. وكان أصحاب الترجمات التفسيرية كـ (فيض الإسلام) شديدي الاهتمام بسدّ الفرج اللفظية الهائلة بين التراكيب والجمل للإضافة في اللغة المنقول إليها، وأما في بعض الترجمات المعاصرة كترجمة "فولادوند" و"خرمشاهي" و"گرمارودي" لاحظنا أنهم يأخذون الحذوف بعين الاعتبار محافظاً على سلاسة اللغة الفارسية وفصاحتها. والظاهر أنهم اختاروا التوسط بين الأمرين؛ أي الترك والاستيفاء، فالمواضع التي يتوقف فيها فهم الآية على معرفة المحذوف ذكروه باختصار والمواضع التي لا يتوقف فيها فهم الآية على المحذوف استغنوا عن ذكره.

يبدو لنا من خلال عملية تحليل نماذج مختارة من الترجمات القرآنية وتقييمها، أنّ اللغة الهدف مهما استخدمت طاقاتها التعبيرية فهي عاجزة عن استيعاب دواعي الحذف وأهدافه الدلالية وهذا يفصح عن إعجاز لا يحاكى في أية لغة من لغات العالم. فالأمر المانع في كثير من هذه النماذج هو بناء الآيات على الإيجاز حيث لا يسع من يترجمها إلا أن يترجمها في كلمات كثيرة تحفظ له بعض المعنى وتذهب بالرونق والخلابة والإعجاز المتصفة به ذاتاً.

Archive of SID

www.SID.ir

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الآلوسي، محمود (١٤١٥هـ). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢. ابن الأثير، ضياء الدين بن محمد (١٩٣٩م). *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*. تحقيق محمد محي‌الدين بن عبدالحميد، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

٣. ابن هشام، جمال‌الدين عبد الله بن يوسف (٢٠٠٩م). *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*. تصحيح وتنقيح يوسف البقاعي، بيروت: دارالفكر.

٤. البنا، جمال (٢٠٠٣م). *تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين*. القاهرة: دار الفكر الإسلامي.

٥. تفسير قرآن مجيد نسخه دانشگاه كمبريج، تصحيح جلال متيني، جلد ٢، تهران: انتشارات بنياد فرهنگ.

٦. التهانوي، محمد علي (١٩٦٣م). *كشاف اصطلاحات الفنون*. تحقيق لطفي عبدالبديع، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

٧. الجنابي، زهرا ميري حمادي (٢٠٠٩م). «*الأثر الدلالي لحذف الفعل في القرآن الكريم*». رسالة الماجستير، جامعة الكوفة.

٨. الجواري، أحمد عبدالستار (١٩٧٤م). *نحو القرآن*. بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي.

٩. حسين، عبدالقاهر (١٩٩٨م). *أثر النحاة في البحث البلاغي*. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.

١٠. الخالدي، كريم حسين ناصح (٢٠٠٧م). *البديل المعنوي من ظاهرة الحذف*. عمان: دار صفاء.

١١. خرمشاهي، بهاءالدين (١٣٩٢ش). *ترجمه قرآن كريم*. طهران: انتشارات دوستان.

١٢. درويش، محي الدين (١٤١٥هـ). *إعراب القرآن وبيانه*. ط ٤، دمشق: دار الإرشاد.

١٣. رضايي إصفهاني، محمد علي (١٣٨٦ش). *منطق ترجمه قرآن*. قم: انتشارات مركز جهاني علوم اسلامي.

١٤. الرمّاني، علي بن عيسى؛ الخطابي؛ الجرجاني، عبدالقاهر (١٩٦٨م). *ثلاث رسائل في إعجاز القرآن*. تحقيق محمد خلف الله؛ ومحمد زغلول سلام، القاهرة: دار المعارف.

Archive of SID

www.SID.ir

١٥. الزركشي، محمد بن عبدالله (١٤٠٨هـ). *البرهان في علوم القرآن*. تحقيق محمد ابوالفضل إبراهيم، بيروت: دار الجميل.

١٦. الزمخشري، جارالله (١٩٨٧م). *الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. ط ٢، بيروت: دار الكتب العربي.

١٧. زيدان، محمود فهمي (١٩٨٥م). *في فلسفة اللغة*. بيروت: دار النهضة العربية.

١٨. السيوطي، جلال الدين (دون تا). *الإتقان في علوم القرآن*. تحقيق عبدالعال سالم مكرّم، بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٩. شفيعي كدكني، محمّدرضا (١٣٨١ش). *موسيقي شعر*. ط ٧، طهران: آگه.

٢٠. الطباطبائي، محمّدحسين (١٤١٧هـ). *الميزان في تفسير القرآن*. قم: انتشارات إسلامي جامعه مدرسين حوزه علميه قم.

٢١. عبدالسلام، عزالدين (١٣١٣هـ). *الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز*. القاهرة: المطبعة العامرة.

٢٢. عظيم‌پور، عظيم (١٣٨٠ش). اختلاف ترجمه‌هاي قرآن كريم (علل وعوامل). طهران: ماهرنگ.

٢٣. العلوي، يحيي بن حمزة (١٩١٤م). *الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز*. القاهرة: مطبعة المقتطف.

٢٤. فولادوند، محمدمهدي (١٣٧٧ش). *ترجمه قرآن كريم*. قم: دفتر مطالعات تاريخ ومعارف اسلامي.

٢٥. فيض الاسلام، علي نقي (١٣٧٨ش). *ترجمة وتفسير قرآن عظيم*. طهران: فقيه.

٢٦. لاهوري، إقبال (١٣٦٦ش). كلّيّات اشعار فارسي اقبال لاهوري. مقدمة محمود علمي (م. درويش)، ط ٣، طهران: جاويدان.

٢٧. الميبدي، أحمد بن محمد (١٣٧٢ش). كشف الأسرار وعدة الأبرار. ط ٥، طهران: أميركبير.

٢٨. يوسف، ألفة (٢٠٠٢م). تعدّد المعنى في القرآن. منوبة: دار السحر للنشر.

٢٩. ترجاني زاده، أحمد (١٣٤٠ش). «الحذف». *مجله دانشكده ادبيات وعلوم انساني* **دانشگاه** *تبريز*، العدد ٥٧، صص١٤٦-١٦٣.

٣٠. حجت، هادي (١٣٧٨ش). «تأريخ نقد الترجمات القرآنية الفارسية». *ترجمان وحي*، السنة ٣، العدد ٢، صص ٤٩-٦٠.

Archive of SID

www.SID.ir

٣١. خرمشاهي، بهاءالدين (١٤١٣هـ). «سهم ايرانيان در تفسير». *مجموعه مقالات كنگره شيخ مفيد* ﷺ، قم، صص٣-٣٠.

٣٢. صحن، أحمد رسن (٢٠١٢م). «الحذف رؤية قرآنية». *مجلّة آداب البصرة*، العدد ٦١، صص١-٢٥.

٣٣. القلفاط، هشام (٢٠٠٨م). «البياض مكونا من مكونات الخطاب الواصف». *مقالات في تحليل الخطاب*، تقديم حمادي صمود، صص١٤٥-١٩٥.

٣٤. محمدرضايي، عليرضا (١٤٣١هـ). «أثر الترجمة على دلالة الكلمات وتحديات الترجمة الفارسية». *مجلة اللغة العربية وآدبها*، السنة ٦، العدد ١٠، صص١٢٧-١٤١.

Archive of SID

www.SID.ir